جامعة الانبار
كلية القانون والعلوم السياسية
قسم العلوم السياسية
فكر سياسي غربي حديث
المرحلة الثالثة
مدرس المادة: أ.م.د. مؤيد جبير محمود

الفكر السياسي والمفاهيم المقاربة

تعريف الفكر السياسي

- هناك تعريفات عديدة للفكر السياسي، فهناك من يعرف الفكر السياسي بدلالة نقيضه الفكر اللاسياسي الذي يقدم بواسطته تعريفاً عاماً وغير محدد المعالم للفكر السياسي.
- بينما ينظر نوع آخر من هذه التعريفات الى الفكر السياسي من زاوية نظائره الاصطلاحية المقاربة ليقرن بين واحد منها أو أكثر في ذات الوقت، ومن هذه النظائر : النظرية السياسية، الفلسفة السياسية، الأيدلوجية السياسية، المذهب السياسي.
- وهناك نوع من التعريفات تربط بين الفكر السياسي وبعض المصطلحات الدالة على الظواهر السياسية مثل ظاهرة الدولة والسلطة.

ويشير **الفكر** للدلالة على: **" نتائج عمليات التفكير والتأمل العقلي التي يقوم بها الانسان بوصفه كائنا عاقلا مفكرا"**. حيث ينتج العقل الانساني نتاجاً على قدر متفاوت من الدقة والعمق والوضوح والتنظيم والموضوعية نسميه فكرا، وينعكس هذا النتاج الفكري في صور متعددة واشكال مختلفة وصيغ متباينة. وينشأ الفكر ويتراكم وينمو ويتطور بوصفه ثمرة من ثمار سعي العقل الانساني لإدراك طبيعة الظواهر المحيطة به وفهمها وتفسيرها، وصولاص الى لحظة التنبؤ باحتمالتها المستقبلية ، تمهيداً للسيطرة عليها والتحكم بها كما كان ذلك ممكناً ومرغوباً.

وتشير **السياسة** في دلالالتها الاصطلاحية والنظرية والعملية على حد سواء الى " كل نشاط نظري أو عملي يتعلق بحكم الجماعة الانسانية وادارة شؤونها، واتخاذ القرارات العامة اللازمة لحماية وجودها وتلبية احتياجاتها وادامة قيمها وضمان مصالحها، وتحقيق اهدافها واستثمار قدراتها وتنظيم علاقاتها وتفاعلاتها وتوجيهها في الداخل والخارج".

وتأسيسا على ما تقدم فإن الانسان بوصفه كائناً مفكراً- حيث جعل من الظاهرة السياسية موضوعاً لتفكيره وتأمله العقلي- كان وما زال يفكر فيها بمعنى السلطة

السياسية سواء اتخذت هذه السلطة شكل الدولة أم لا ، فالسلطة السياسية من أسبق الظواهر وجوداً واكثرها حضوراً في حياة الانسان، وأبعدها أثرا في توجيه نشاطاته الفردية والاجتماعية.

وفي ضوء ذلك يمكن تعريف **الفكر السياسي**: **" كل أشكال التفكير والتأمل العقلي في الظاهرة السياسية المتجسدة عمليا في السلطة السياسية"**. وان تعريف الفكر السياسي بدلالة السطة لا بدلالة الدولة يعود الى أن السلطة السياسية خاصية قرينة لكل مجتمع انساني سابق في وجوده على الدولة أو لاحق لها، أما الدولة فهي معطى سياسي حديث الظهور لا يتجاوز تاريخ نشأته القرن الخامس عشر اميلادي.

ان العقل الانساني انشغل عبر التاريخ وحتى يومنا هذا بالبحث والتأمل في خمسة مواضيع كبرى أساسية صاغها في صور أسئلة خمسة حاول البحث عن اجابتها:

- ماهو الله؟
- ماهي الطبيعة؟
- ماهو الانسان؟
- ماهو التاريخ؟
- ماهو المجتمع؟

ومن هذه الأسئلة الكلية صاغ العقل الانساني أسئلة فرعية كان من بينها السؤال عن:

- ماهي السلطة السياسية؟

وان محاولة الاجابة عن هذا السؤال تفترض تقسيمه بدوره الى أسئلة فرعية:

- ماهو أصل السلطة السياسية ومصدر شرعيتها؟
- ماهو شكل السلطة السياسية؟
- ماهي وظيفة السلطة السياسية؟
- ماهي طرق تداول السلطة السياسية؟

أنواع الفكر السياسي:

تسمح العلاقة التأثيرية المتبادلة بين الفكر السياسي والواقع الطبيعي –الاجتماعي بالتمييز بين أنواع مختلفة من هذا الفكر استناداً الى طبيعة الموقف الذي يتخذه كل نوع منها من بيئته ووفقا لمعيار موقف الفكر السياسي من الواقع والدور التأثيري الذي يمارسه في إطارها:

- فكر سياسي تنبؤي: جذري واصلاحي
- الفكر السياسي التبريري
- الفكر السياسي الوصفي

المفاهيم المقاربة

الفكر والنظرية:

- يشير مصطلح النظرية الى بناء فكري فحواه وغايته الشرح والتنبؤ، وتحديد العلاج في أي مجال للبحث والمعرفة. وبذلك فإن النظرية أية نظرية هي اجابة مقترحة على أسئلة مطروحة بصدد ظاهرة محددة. ويسمى التعميم (القواعد العامة الممجردة) النظرية أحياناً بالنظرية. ويتمثل أبرز عناصر التمايز بين النظرية والفكر، في أن النظرية تفيد معنى التنسيق الموضوعي للاجابات المقترحة بصدد ظاهرة معينة، وتفسيرها لتلك الظاهرة، وكشفها عن دلالتها، فضلا عن اعماها. مستعينةً بما يسمى في منطق العلوم بالفروض التي لو تم التحقق منها لصارت قوانين تحكم الظاهرة موضوع الدراسة. ولكن الفكر يبدو أكثر عمومية لأنه يمكن أن يتضمن أكثر من نظرية. أما القاسم المشترك بين الفكر والنظرية في حقول المعرفية الانسانية فهو الاهتمام الذي يوليانه كليهما للظاهرة المجتمعية، ولكن شكل ومضمون هذا الاهتمام يجعل الفكر اوسع نطاقا، واكثر عمومية وتجريداً من النظرية التي تكون أضيق نطاقاً، وأكثر دقة وتحديدا من الفكر الذي يتحاشا تقديم صياغات نظرية متكاملة ونهائية مثلما تفعل النظرية.

الفكر والمذهب:

- يشير المذهب الى نسق متكامل من الأفكار حول ظاهرة أو ظواهر تتم دراساتها والحكم عليها بمعايير يغلب عليها الطابع الذاتي الشخصي، حيث يستهدف واضع النسق الفكري المذهبي، وصف الظاهرة والحكم عليها بما ينسجم وأفكاره ومعتقداته ومعاييره القيمية الشخصية وبذلك:
- تميل النظرية الى فهم الظاهرة والتعرف عليها والتعريف بها، بينما يميل المذهب الى الحكم على الظاهرة.
- تنطلق النظرية من وقائع وحقائق بينما ينطلق المذهب من المثل الأعلى لصاحبه ، ويصدر أحكامه على الظاهرة استنادا الى تقديرات ومعايير ذاتية في الغالب.
- وتضفي هذه الاختلافات على المذهب طابعاً شخصياً ومتحيزاً، بحكم ارتباطه بشخصية صاحبه. ولكن النظرية والفلسفة يمكن ايضاً ان تتحولان احياناً الى مذهب لدى بعض اليذين يؤمنون بصحة هذه النظرية أ تلك الفلسفة.

وبهذا المعنى فإن الفكر لا يعرف بدلالة جزئه ، أي بدلالة النظرية أو المذهب ، فالكر اوسع منهما، ويمكن أن يحتضن مجموعات متعددة ومتنوعة من النظريات والمذاهب.

الفكر والفلسفة:

تعني الفلسفة في ترجمتها من اليونانية الى العربية (حب الحكمة) وهي نتاج عقلي مثلها في ذلك مثل النظرية والمذهب، لكنها تتميز عنهما في ان الفلسفة تنطوي على تأمل شمولي حول الكون او الطبيعة او الانسان، أو حول ذلك كله. تجري صياغة الفلسفة في صورة نظام او نسق كلي ينطلق ، عادة من مفاهيم وأراء ومواقف مسبقة، ويسعى لتحقيق صورة لنموذج سام أعلى. والفلسفة في الغالب هي بحث فيما يجب ان يكون وليس فيما هو كائن. وحتى في بحث الفلسفة فيما هو كائن فإنها تجعل من بحثها هذا مقدمة لنتيجة تصلها في النهاية. ويبقى الجانب المشترك بين الفكر والفلسفة في أنهما تأمل عقلي نظري، ولكن الفكر تأمل لايقوم على أساس الأفكار المسبقة ولايسعى سلفاً وقصداً الى تشكيل منتظم فكري ينطلق من مثل أعلى او شمولي كما هو حال الفلسفة التي هي معيارية؛ وهذا ما يجعل هدفها اطلاق حكم

تقويمي معياري على القواعد والمؤسسات القائمة والناس، انطلاقاً من القيم التي يتبناها الفيلسوف أو مدرسته الفلسفة أو كليهما معاً. وعلى هذا الاساس يبدو الفكر أكثر سعة ودلالة من الفلسفة الى الدرجة التي يحتضن فيها الفلسفة، مثلما يحتضن النظرية والمذهب أيضا، لتكون النظرية والمذهب والفلسفة في النهاية مجرد أجزاء او مكونات في بنية الفكر السياسي.

الفكر والايديولوجيا:

- الايديولوجيا مصطلح صاغه الفيلسوف الفرنسي (أنطوان دو تراسي) عام ١٧٩٥، واستخدمه للدلالة على العلم الذي يدرس الافكار التي تطور العقل الشعبي، وانتشر المصطلح بعد وذلك وتطور في اتجاهات متضادة كثيرة بفضل اسهامات خطباء الثورة الفرنسية وغيرهم. وما اثير حول الايديولوجيا من غبار العداوة حتى قال عنها نابليون نها: حلم عابث، وان الايديولوجي صياد احلام، ووصفها كارل ماركس بأنها وعي كاذب.
- وتمثل الايديولوجيا بوصفها علم الأفكار نسقاً فكرياً يتعامل مع ظواهر معينة يخضعا للدراسة، ويعكس بالتعامل معها رغبات ومصالح واضعيه، وينطوي هذا المصلح ايضا عادة على قدر ملحوظ من المبالغة في تقويم وابراز تفسيرات وتفضيلات/ تحبيذات تعبر عن ارادة محددة، وتتمتع تلك التفسيرات والتفضيلات عندها بأهمية استثنائية على الصعيد العملي، لذلك يميل بعض الباحثين الى وصف الايديولوجيا بأنها فكر غايته الاساسية الممارسة العملية.
- وبقدر تعلق الأمر بالصلة القائمة بين الفكر والايديولوجيا فإنها تعود في واقع الامر الى ان الايديولوجيا (فكر تحول الى رغبة)، أي انها فكر، لكنه فكر تم توظيفه لاغراض عملية. وهي وان كانت ذات طبيعة شخصية ذاتية فهي تعكس تمثلا جماعيا متحيزا وتفضيليا. فالنازية على سبيل المثال تفضل العرق، وهي تستهدف تحقيق السيادة للعرق الآري على غيره من الأعراق.
- استنادا الى احكام قيمية معيارية، واستهداف ممارسة انشطة عملية تطبيقية ترمي الأيديولوجية الى المحافظة على الواقع او تغييره او اعادة تشكيله وفقاً للاحكام القيمية المعيارية التي انطلقت منها. والأيديولوجيا وان كانت تشترك مع الفكر في طابعها التأملي العقلي، لكنها تختلف وتتميز عن الفكر في أنها تامل عقلي مكرس بشكل اول واساس للاعتبارات العملية والتعبوية.

وعلى الرغم من شرعية وضرورة المقارنة بين الفكر والمفاهيم السابقة المقاربة له ، فإن الحدود الفاصلة بين هذه المفاهيم ليست حادة ، ولا حتى دقيقة وواضحة تماماً، مما يجعلها مفاهيم متقاربة وحتى متناظرة، لانها جميعاً تدخل في إطار الفكر ، وتقع ضمن حدوده، بحكم اشتراكها معه في كونها تأملات عقلية مجردة ، وان كان بعضها مميزاً بفعل مستوى تنظيمه وفرضياته أو مدى توجهه الى العقل الجمعي وصلته بالممارسة والغائية العملية.

المصادر

١-أ.د. عبد الرضا الطعان،و أ. د. علي عباس مراد،و أ.د. عامر حسن فياض، موسوعة الفكر السياسي عبر العصور، ط١، ابن النديم للنشر والتوزيع، وهران الجزائر، ٢٠١٥.

٢-أ. د. علي عباس مراد،و أ.د. عامر حسن فياض، القومية والامة –مدخل الى الفكر السياسي القومي، ط١، بلا، القاهرة، ٢٠١٧.